أثر الفكر الديني في مفهوم الأتراكسيا
عند الرواقية والأبيقورية

د/ هناء سيد عبد العزيز

مدرس الفلسفة اليونانية
قسم الفلسفة
كلية الآداب جامعة حلوان.

لقد تميزت الفلسفة اليونانية فى مرحلتها الهللينستية بالاهتمام بالفرد وحياته وأخلاقه فيما يسمي (بالنزعة الذاتية) التي تعني بالبحث عن سبل الحصول على السعادة والراحة النفسية والطمأنينة، وذلك من خلال تخليص الفرد من حالة الخوف والقلق التي تسيطر عليه نتيجة انهيار المدن اليونانية، وانضمام اليونان إلي الإمبراطورية الرومانية بعد صراع مع الإمبراطورية المقدونية التي أسسها الإسكندر الأكبر في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، " وقد نشأت الحاجة إلى ظهور رؤية جديدة لعالم واحد توضع فيه الخلافات حول الأصل والعرق تحت خاصية مشتركة، وتهتم من ناحية أخرى بالفرد الذي حرم من الأمن العاطفي ومن المعنى الواضح للوجود حيث خرج من إطار دولة المدينة، وواجه عالماً شاسعاً غريباً جعله في حاجة للمساندة والإرشاد فيما يتعلق بكيفية الحياة في هذا العالم، وذلك لأنه أصبح يعي أنه فرد منعزل في هذا الكون، ولقد وضع ذلك الإدراك الجديد لفرديته مشاكل كثيرة - مثل مشكلة الموت - فى بؤرة أكثر حدة، الأمر الذي جعل كل من المدرسة الرواقية والمدرسة الأبيقورية تحاول تقديم فلسفة تساعد ذلك الفرد، وتكون له بمثابة المرشد والملهم لذلك الفرد البائس المغترب إلى السلوك السليم، فنجد أن الأبيقورية تركز على الفرد ذاته وتحاول معالجة الموقف الجديد عن طريق بناء الثقة بالنفس، والاعتماد على الذات والقوة الداخلية، والسيطرة على المخاوف وضروب القلق من الداخل، بينما نجد الرواقية على الرغم من اهتمامها بصورة مماثلة، بدعم مقاومة الفرد لتقلبات العالم الخارجي، وكان مثلهم الأعلى القائم على (حالة اللامبالاة) أكثر تطرفاً من المثل الأعلى الأبيقوري القائم على حالة التحرر من الخوف والقلق[1]، فالرواقية تسعي لتفسير العالم والتأكيد على ضرورة التعايش مع العالم وأحداثه على أساس ديني وعقيدة راسخة بالله وقضائه وقدره، بينما تؤكد الأبيقورية على ضرورة التعايش مع العالم وأحداثه على أساس ديني يؤكد عدم تدخل الله في العالم فلا قضاء ولا قدر، وهو موقف متباين فيما بين المدرستين، ولكن الهدف في النهاية واحد وهو الوصول بالفرد إلى حالة الأتراكسيا لذلك كان الهدف الأسمى لجهود فلاسفة المرحلة الهللينستية - خاصة فلاسفة المدرسة الرواقية والأبيقورية - هو الوصول لحالة الأتراكسيا Ataraxia أو الطمأنينة النفسية أو الخلو من الاضطراب والقلق، " وهي عند الرواقيين والأبيقوريين والشكاك حالة لذيذة من الاتزان ينعدم فيها الخوف والندم وتتجرد فيها النفس من المطامع والرغبات " [2]، وبناء

(١) جاك شورون : الموت في الفكر الغربي - ترجمة د. كامل يوسف حسين - عالم المعرفة - الكويت - ١٩٤٨ – صـ ٧٥ - ٧٦.
(2)المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية – تصدير د/ ابراهيم مدكور – الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية – القاهرة – ١٩٨٣- طمأنينة ataraxia – صـ ١١٣.

على ذلك فإن الوصول إلى حالة الأتراكسيا لا يتم من خلال خطة شاملة، يتم فيهــا تفنيــد المخاوف التي تسيطر على الإنسان، وتحديد أنواعها وكيفية معالجتها، ثم تحديــد أنــواع المطامع والرغبات التي ينشدها الفرد وكيفية تحريره من استعبادها.

لقد كانت (المخاوف) التي تسيطر على الفرد وتسبب له حالة من الاضطراب والقلق النفسي تتلخص في عدد من المخاوف المشتركة بين الناس جميعاً مثل الخوف من الإلــه، الموت، البعث والثواب والعقاب في الآخرة، أي أنها جميعاً ترتبط بــأمور غيبيــة يغلــب عليها الطابع الديني، وهذا استدعي ضرورة إعادة النظر في فهم الإله وطبيعته وعلاقتــه بالعالم، من حيث هي علاقة محايثة أم مفارقة. كذلك مناقــشة مفهــوم العنايــة الإلهيــة وعلاقتها بالجسد وعلاقة ذلك كله بالموت والآخرة، وبناء على تحديد تلك المفــاهيم يــتم تحديد الطرق المناسبة لعلاج الفرد من تلك المخاوف التي تعوق شعوره بالأمــان وراحــة البال، ومن ثم الوصول للأتراكسيا، وبعد الانتهاء من علاج المخاوف يــأتى دور عــلاج الإفراط في الرغبات والمطامع المادية، بتحديد أنواعها وأيهــا يمكــن تلبيتــه، بــل مــن الضروري والطبيعي تلبيته، وأيها غير ضروري وغير طبيعي، بل وله آثار سلبية تفــوق آثاره الإيجابية.

لقد عملت المدرسة الرواقية والأبيقورية على توظيف تصوراتهما الدينية فيما يخص الإله وعلاقته بالعالم، في حل المشاكل التي تعوق تحقيق الأتراكسيا، كل علــى طريقتــه ومن منظور خاص تختلف به كل مدرسة عن الأخرى اختلافًا كبيرًا ولكنه يخــدم ويحــل مشكلة واحدة وهي مشكلة تحقيق الطمأنينة وراحة البال.

أولاً معالجة المخاوف التي تعوق الوصول للأتراكسيا:

لقد أجمعت كل من المدرسة الرواقية والأبيقورية على أن المخاوف التي تؤرق حياة الفرد في هذا العالم، هي مخاوف ذات طابع ديني أسطوري تتلخص في الخوف من الإلــه والموت والحساب الأخروي، وهي مخاوف ترتبط بعدة أوهام قــد رســختها المعتقــدات الشعبية والدينية التقليدية، ولعبت دوراً كبيراً في غرسها في نفوس الناس، لذلك كان لزاماً على المدرسة الرواقية والأبيقورية إعادة النظر في تلك المعتقدات الدينية، ووضع مفــاهيم دينية عقلية راسخة تعمل على إزالة الغموض عن الفكر الديني، وتقديم فكر دينــي جديــد واضح بعيداً عن الأساطير والأوهام، ولما كانت المدرسة الرواقية فكرًا دينيًا مختلفاً تمــام الاختلاف عن الفكر الديني الأبيقوري سوف نعرض لمحاولة كل منهما على حدة.

أ- معالجة الخوف الذي يعوق الوصول للأتراكسيا عند المدرسة الرواقية:

يعد الخوف من الإله أو الآلهة أحد أهم المخاوف التي كانت تقف عائقاً في وجه الفرد في العصر الهيللينستي للوصول إلى الأتراكسيا، نظراً لغموض الموضوع، ولنقد الديانات التي تقدم تصورات غامضة ومخيفة عن الإله وعلاقته بالعالم وبالإنسان، لذلك نجد أن الرواقية ترى ضرورة أن تساهم الفلسفة في حل المشاكل الدينية التي طرأت على المجتمع، لذلك يمكن القول إن الفلسفة في تلك المرحلة قد " قدمت - إلى حد ما على الأقل - إشباعاً للحاجات والتطلعات الدينية للإنسان، فقد كان عدم الإيمان بالميثولوجيا الشعبية عاماً، وحينما سيطر اللاإيمان هذا - بين الطبقات المثقفة - الذين لم يرضوا بالحياة بلا دين على الإطلاق، فقد كان عليهم أن يلتحقوا بإحدى العبادات الكثيرة التي قدمت من الشرق إلى الإمبراطورية، وكان مقدراً لها بالقطع إشباع التطلعات الروحية للإنسان أكثر من ديانة الدولة الرسمية بما لها من موقف شبيه بالأعمال التجارية، ومن ثم فنحن نستطيع أن نميز العناصر الدينية في مذهب أخلاقي مسيطر مثل المذهب الرواقي"(3)، ولكن ذلك لا يمنع من القول بأن الرواقية حاولت الجمع بين التصور الفلسفي الديني الخاص بها وبين الميثولوجيا الشعبية التقليدية.

لقد ذهبت الرواقية التي تميزت فلسفتها بالطابع المادي إلى أن " هناك مبدأين في الكون: مبدأ إيجابي ومبدأ سلبي، المبدأ السلبي هو عبارة عن جوهر بغير كيف، أي هو المادة hylé، أما المبدأ الإيجابي هو عبارة عن العقل الملازم لهذا الجوهر، أي هو الإله وذلك لأنه إله سرمدي، ولأنه الخالق لكي شئ من خلال هذه المادة بأسرها، ولقد تضافر على وضع هذه النظرية كل من زينون - مؤسس المدرسة الرواقية - وكليانتس وخريسبوس – من أهم أتباع المدرسة وغيرهم من فلاسفتها "(4) وعلى هذا فقد قسمت الرواقية مبادئ الكون إلى مبدأين، ايجابي وسلبي، فالأول مبدأ فاعل إيجابي، والآخر منفعل سلبي، والإله هنا يمثل المبدأ الإيجابي الفاعل في هذا الكون، والمنفعل هو المادة بكل أشكالها، وهي تخضع لهذا الإله من حيث الخلق والعناية.

---

(3) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة - المجلد الأول - (اليونان وروما) ترجمة د/ امام عبد الفتاح أمام -المجلس الأعلى للثقافة والقاهرة - ٢٠٠٢ - صـ ٥١١.

(4) ديوجين اللائرثي : حياة مشاهير الفلاسفة - المجلد الثاني - ترجمة امام عبد الفتاح - المركز القومي للترجمة - القاهرة ٢٠٠٨ - صـ ٢٠٨ - وانظر أيضاً:

Diogenes Laertis : Lives and Opinions of Eminent Philosophers –V1- Translated by Charles Duke p97. - H.G. Bohn - London – 1853.

إن قول الرواقية بوجود مبدأين يحكمان العالم نابع من " نظرة ثنائية تعكس ثنائية النفس والجسد، أو فيما بين القوة والمادة، وأحياناً ما يطلقون على المبدأ الأول اسم نفس العالم logos، والذي يعبر عنه دينياَ بأنه العناية الإلهية providence، أو يعبر عنه في لغة التنجيم بالقدر Destiny، وبلغة الميثولوجيا باعتباره Zeus الذي تكون أفعاله ذات فعالية جوهرية، ووفقاً للقانون المنطقي أو العقلي للطبيعة والذي يتخلل في نطاق أصغر الأجسام باعتباره بذور العقل التي تهب الحيوية والقوة tonicity "[5]، فالعلاقة بين الإله والمادة هي علاقة خلق، فالرواقية ترى أن الإله هو الذي خلق العالم بكل ما فيه من الأشياء، ولقد استعارت الرواقية نظرية هيراقليطس في النار والعود الأبدي في تحديد المادة الأولى التي استخدمها الإله في خلق العالم، وقامت بربطه بدورة الاحتراق العام، وهي في نظرهم تساهم في تبديد خوف الفرد من الموت، ذلك عندما يعلم بأنه لا يوجد نهاية للعالم نهاية تماماً، وإنما هي نهاية وعودة مرة أخرى للحياة بكافة تفاصيلها، فيعود الفرد لحياته كما هي فلا مجال للخوف من الموت والعقاب الأخروي الذي يثير الخوف والقلق في نفوس البشر.

لقد استدلت الرواقية على وجود الإله من خلال رصد مظاهر الطبيعة وما فيها من نظام، وقد استخدم الرواقيون مصطلح الكون بثلاثة معانٍ: " أولها إنه يدل على الإله نفسه بوصفه الفرد الذي يستمد كيفه من الجوهر كله , والإله فعلاً أبدي غير قابل للفناء ولم يولد بوصفه خالقاً لهذا الكون، أو أن الإله - في حقبة معينة من الزمان - يطوي داخل ذاته الجوهر كله ثم يقوم بخلقه من ذاته مرة أخرى، وثانيها إن مصطلح الكون نفسه يدل في رأيهم - على الترتيب المنظم للنجوم والأجرام السماوية، وثالثهما إن مصطلح الكون يدل على الموجود الفرد الذي يضغي كيفه على جوهر الكون كله، أو أنه وفقاً لقول - بوسيدونيوس أحد فلاسفة الرواقية - عبارة عن نظام مؤلف من الآلهة والبشر والكائنات التي خلقت من أجلهم، والكون في نظرهم يقوم على كل من العقل والعناية الإلهية، وكليهما يسيران وفقاً لتنظيمه وإرادته وفقاً لما ذكره لنا خريسبوس و بوسيدونيوس، وذلك بمقدار ما ينشر العقل أو يبث في كل جزء منه على ما تفعل النفس داخل كل منا، مع وجود قدر من الاختلاف، إذ يكون الانتشار أزيد في بعض الأجزاء وأقل في بعضها الآخر". [6] وعلى هذا فإن الإله موجود في العالم كله ومنتشر في كل أرجائه، وهو خالق

---

(5) - E.J. Dijkstethuis: Mechanization of the World Picture - Pythagoras & Newton Princeton university press- New Jersey - 1986 – p43.

(6): ديوجين اللائرثى : المصدر السابق – المجلد الثانى – صـ ٢١١- ٢١٢ – و انظر أيضاً
.Diogenes Laertius : Op. Cit – V1 – pp 309- 310

هذا الكون ومنظمه، ويلاحظ هنا أن الرواقية ترى أن الإله قد خلق الكون والكائنات لخدمة الإنسان، وهذا هو المدخل الأول للتأكيد على ضرورة عدم الخوف من الإله، فهو إله خالق معتنٍ بالبشر، فهو محب للبشر سخر كل شئ في الكون من أجل خدمتهم وسعادتهم، فكيف يعقل أن يخاف الفرد من هذا الإله الذي أقام هذا الكون من أجله ؟!.

لقد كان الإله عند الرواقية " موجود حي خالد عاقل كامل ذكي يعيش في سعادة، ولا يسمح بدخول أي شر من أي نوع (داخله)، وهو يرعي بعناية هذا العالم وكل ما هو موجود فيه، رغم أنه ليس من هيئة البشر، فهو بمثابة الأب لجميع الكائنات سواء بوجه عام أو عن طريق ذلك الجزء الكامن فيه الذي يتغلغل في كل شئ "[7]، فهو محايث لهذا العالم غير مفارق له أي يعيش فيه، فالإله يقف من العالم "موقف الروح من الجسد، وهو ليس شيئاً يختلف اختلافاً تاماً عن العالم، وإنما هو مادة أشد دقة - فهو المبدأ المحرك والمشكل - من المادة الغليظة التي صنع منها العالم"[8]، فالإله بهذا التصور الرواقي إله مادي وليس إلهاً ميتافيزيقياً أسطورياً مفارقاً، بل هو متكون من مادة رقيقة أقل حدة من مادة العالم التي هي النار، ولكن هذا التصور المادي المبالغ فيه من الرواقية الذي وصل لتصور الإله في صورة مادية لم ينتبه إلى أن القول بمادية الإله - حتى وان كان من مادة رقيقة - يفتح الباب للتساؤل عن من الذي خلق ذلك الإله من تلك المادة الرقيقة، فالقول بأنه يتكون من مادة يتطلب بالضرورة السؤال عن الفاعل الذي عمل على تكوينه وتشكيله بهذه الصورة.

إن القول بوجود الإله في العالم يعد في نظر الرواقية سبباً للتفاؤل والاطمئنان والراحة وليس الخوف والهلع من ذلك الإله، والإله عندهم يتعامل مع الكون من خلال مبدأين هما مبدأ الحتمية الكونية ومبدأ العناية الإلهية، " والحتمية الكونية مبدأ خاص بالطبيعة والحرية الإنسانية خاص بالإنسان، ذلك أن حوادث الكون محكومة بقوانين صارمة وليس ثمة - في نظر الرواقيين - صدفة أو اتفاق، فكل شئ في هذا الكون مساق نحو غاية، ومدبر لخدمة الإنسان وهذه هي نظرية العناية الإلهية، وعلى الإنسان أن يسعى بإرادته ومحض حريته واختياره إلى أن يتوافق مع القوانين العامة الطبيعية، فالفضيلة إذن تقوم في حرية الإرادة الموافقة للطبيعة، وما دام الأمر كذلك فلابد وأن يكون الحكيم الرواقي سيد نفسه، لا يهمه فقراً أو غني، ولا تصده أي قوة خارجية عن الفضيلة "[9]، إن كل شئ يحدث في هذا العالم يحدث في نظر الرواقية وفق نظام ثابت مقدر سلفاً من قبل الإله، ولقد

---

(7) ديوجين اللائرثى : المصدر السابق – المجلد الثانى – صـ ٢١٧- ٢١٨ – و انظر أيضاً:
Diogenes Laertius : Op. Cit – V1 – pp312- 313.

(8) فردريك كوبلستون : المرجع السابق - المجلد الأول (اليونان وروما) – صـ ٥٢٠.

(9) د/ أحمد فؤاد الأهواني: المدراس الفلسفية - الدار المصرية للتأليف والترجمة- القاهرة-١٩٦٥ - ص ٧٣–٧٤.

اعتبرت الرواقية هذا النظام الكوني دليلاً في حد ذاته على وجود إله خالق ومنظم لهذا الكون، وهو في نظرهم دليل بديهي للمنكرين لوجود إله، وقد أطلقوا عليه دليل إجماع الأمم، بمعني أن البديهة أو الإنسانية تجمع على هذا التواجد الإلهي في الكون من خلال النظام العام الثابت الدقيق الموجود فيه، ولقد انتقد هذا الدليل فيما بعد كرنيادس - أحد فلاسفة الشكاك - ذلك لأن إجماع الأمم لا يصلح دليلاً على وجود إله في هذا الكون، كما انتقد مبدأ الحتمية الكونية بشكل عام لتعارضه مع مبدأ حرية الإرادة الإنسانية، وذلك لأن خضوع كل شئ في هذا العالم لهذا المبدأ الحتمي لا يدع مجالاً لاختيار أو حرية الإنسان في تغيير حياته ومصيره، فالقول بالحتمية الكونية سيعمل على زيادة الخوف وقلقه، حيث لن يكون لديه أي أمل في تغيير واقعه أو مصيره لأنه مقدر سلفاً، وإن العود الأبدي سوف يعني هنا أن تتكرر حياته كما هي في كل دورة من دورات الحياة.

لقد حاولت الرواقية معالجة التعارض بين مبدأ الحتمية الكونية مع حرية الإرادة الإنسانية من خلال التأكيد على أن كل شئ يحدث في ضوء في فكرة العلل والأسباب، وقد كان خريسبوس - أحد فلاسفة الرواقية - يرد على قول البعض بأن " معني حدوث الأشياء بالقضاء والقدر هو أن الإنسان مجبر غير مختار في أفعاله، وأن هذه النظرية تقضي على كل فعل إنساني، فإذا كانت الأشياء تحدث وفقاً لقدر مرسوم، فالأشياء التي قدر أن تقع لنا سواء فعلنا أو لم نفعل، فلو قُدر لي الابتلاء بالمرض، فأنني سأخرج منه معافى، سواء استدعيت الطبيب أو لم أستدعيه، وهذا الاعتراض معروف باسم (السبب المتواكل)، وقد أجاب خريسبوس على هذا الاعتراض بقوله: إن الأشياء كلها متصلة متآزره وإنه إذا كان مكتوباً لي الشفاء فمكتوب لي أيضاً أن أستدعي الطبيب، وقد كان خريسبوس يري أنه من السهل التوفيق بين القدر العام وبين حرية الإنسان، فقد كان يري أن الحوادث المستقبلية ليست ضرورية، فإذا كانت الأشياء خاضعة للقضاء، فليس ذلك (القضاء) بملزم للفعل ولا يمانع له، وأفعال الناس وإن تكن واقعة تحت حكم (القدر)، إلا أنها حاصلة عن الكسب والاختيار، والإنسان على كل حال قادر على ترك الفعل قبل وقوعه"[(10)]، كذلك قامت الرواقية بربط الخضوع للقضاء والقدر (بوعي الإنسان) لهذا القانون العام الذي يجعله يري أن أعلى درجات الفضيلة هي أن يوظف الإنسان أفعاله بحيث نتوافق مع هذا القانون العام للكون، فالإنسان عند الرواقية جزء لا يتجزأ من النظام العالمي، لذلك فهو عندما يتوافق مع هذا النظام فهو يؤكد على انتهائه له واتحاده به.

(10) د/عثمان امين: الفلسفة الرواقية – مكتبة الأنجلو المصرية – ط٣ – القاهرة – ١٩٧١ – صـ ١٦٩.

أما عن مبدأ العناية الإلهية فترى الرواقية أنه يعني إهتمام الإله بالإنسان وبحياته وحرصه على إتمام سعادته، فهو بذلك يدعو لشعور الإنسان بالاطمئنان والراحة النفسية لأن هناك في هذا العالم إلهاً خلق الكون وسخره من أجله، وأنه يسهر على رعايته والاعتناء بحياته، فهو موجود في العالم ليس من أجل إخافة الإنسان وترويعه، ولقد قدم سينكا - أحد أهم فلاسفة الرواقية - عددًا من الحجج الدالة على "الاعتقاد بوجود عناية إلهية ترعي الكون وتوجهه، فهو يري أن البنية الضخمة للعالم لا تدار بدون وجود من يعتني بها، وأن تجمع وتشتت الأجرام السماوية لا يمكن أن يكون من عمل الصدفة، حيث إن الصدفة المتحركة لا اتجاه لها، وفي الأغلب ستتصادم مع صدفة أخرى، أما المسار الذي توجهه قواعد قانون الأزل فيتحرك بسرعة بدون خطأ حاملاً معه حشداً من الأشياء على الأرض وفوق البحر، ولا يعد هذا الترتيب صفة لمادة تتحرك عشوائياً، فكل الكيانات على الأرض لا يمكن أن تحفظ توازنها بدون عناية فائقة، فكل الظواهر الطبيعية لها أسبابها الطبيعية "[11]، فالعناية الإلهية هنا لازمة عن القول بالحتمية الكونية والعكس بالعكس صحيح.

فالرواقية تؤكد على وحدة الإله بالعالم أو ما يسمى بوحدة الوجود، " فالإله والطبيعة شيء واحد، وهو تجلي العقل الكلي (اللوغوس)، وقد ذهب الرواقيون مع هيراقليطس إلى أن اللوغوس نار أو نفس، إذن هو فهو مادي، ولكنه مادة عاقلة ذات مقاصد وغايات، والجوهر عندهم هو روح ومادة متحدثان متحدان كاملاً، فهو مادة روحية أو روح مادية، وكل شئ في هذا العالم خاضع للضرروة أو القضاء والقدر، تلك الضرورة هي قانون اللوغوس، فهي إذن عقلية وكل شئ دبرته العناية على أحسن ما يمكن أن يكون، والإله هو أبو الجميع، فهو خير ورحيم، والنفس الإنسانية ككل جزء من هذا اللوجوس الإلهي، وقبس من النار الإلهية "[12]. فإذا كان ثمة إله مدبر ومنظم للكون , فما هو تفسير الرواقية لوجود الشر و المصائب والكوارث في العالم، تلك الشرور التي تصيب الإنسان، وتجعله يعيش في تعاسة واضطراب يفقده أي إحساس بالاطمئنان والاستقرار، ويرد سينكا على ذلك السؤال في إحدى رسائله بأن الآلهة تضفي أفضل ما لديها لأفضل البشر، حيث إن هناك علاقة صداقة بين الأخيار والأرباب - الآلهة ويربط بينهما الفضيلة، فهي علاقة تشابه وقرابة، والفارق الوحيد بين الإله والإنسان الخير هو الزمن، فالإنسان عبد للإله

(11) د/ جيهان عادل على محمود : مفهوم السعادة في فلسفة سينكا - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ٢٠١ – صـ ٦٢ - ٦٣.
(12) د/ عثمان أمين: المرجع السابق صـ ١٩٤ - ١٩٥.

ونده وخليفته في الأرض، والذي رباه الإله على الفضيلة بعناية شـديدة، وإن المـصائب والشدائد التي تصيب الأخيار لا تمثل عقاباً لهم، بل هي وسيلة لإصـلاح وتقويـة الـذات وتدريبها على التحمل الشجاع، وأيضاً تعد هذه الكوارث الحافز أو الفرصـة التـي مكـن النفس الحقة من القوة، بينما الرفاهية والتدليل تولد الضعف والإنكـار أمـام أي صـدمة بسيطة"[13]. وبهذا فالرواقية ممثلة في سينكا لا ترى في الشرور والمصائب عقاباً إلهيـاً، وإنما هي اختبار لقوة التحمل، وليست الرفاهية التي ينعم بها الأشرار في هذا العالم دلـيلاً على رضاء الإله عنهم، بل ستكون حجة الانتقام الإله منهم '، فالإله بهذا لا يختبر سـوي النفوس الفاضلة من أجل تقويتها وتطهيرها من الانغماس في الخطايا.

وبناء على هذا دعت الرواقية - متأثرة بالدعوة التي قالت بها المدرسة الكلبية مـن قبل - إلى العودة إلى الطبيعة والتوافق معها، وهي دعوة للعودة للحيـاة البـسيطة غيـر المصطنعة، لذلك فإن " موافقة الطبيعة عند الإنسان عبارة عن الحياة وفاقاً للعقل، والعقـل هو الجزء الرئيس فينا الذي تقوم عليه ماهيتنا بما نحن بشر، ويلزم عن ذلك أن الإنـسان الذي يحيا وفقاً للعقل لا يكون موافقاً لنفسه فقط، بل يكون موافقـاً لمجمـوع الأشـياء أي للكون بأسره، لأن العقل لا يختص بالإنسان وحده، بل هو أيضاً من خـصائص الوجـود الكلي أي من خصائص الكون، والعقل الإنساني ليس إلا جزءاً من العقل الكلـي الـشامل، وبالعقل نحيا على وئام مع أنفسنا، كما نحيا على وئام مع العالم "[14]، فالدعوة للوفاق مـع الطبيعة تعني ان يهتم بتلبية احتياجاته الضرورية فقط وان ترك البحث عن المال والمجـد والشهرة جانباً، ذلك لأن العناية بتلك الأشياء المادية هي سبب في اضطراب الفرد وقلقـه، أما الحياة البسيطة العاقلة فهي تعمل على ترسيخ حالة الأتراكسيا والاطمئنـان والـسعادة التي ينشدها كل إنسان عاقل.

لقد كان الموت هو ثانى أهم المخاوف التي تسبب الاضطراب النفسي لـدي الفـرد، وتعكر صفو حياته، وهو خوف مرتبط بالخوف من الإله، لأن الموت يعني مواجهة الإلـه وانتظار الحساب الأخروي، لذلك سعت الرواقية إلى البحث في حقيقة المـوت، والبعـث، والحساب، والثواب والعقاب، وقد توصلت إلى نظرية خاصة بها عـن المـوت ارتبطـت ارتباطاً وثيقاً بنظرية الاحتراق الأبدي المستعارة من كل من هيراقليطس و فيثـاغورث - ولقد كان الهدف الرئيس من التفكير الفلسفي عند الرواقيين هو " تحريـر البـشرية مـن الخوف الغريزي من الموت، فهذا الخوف واحد من مقومات الشقاء الإنساني الـذي وعـد

(13) د/ جيهان عادل على محمود : المرجع السابق – صـ ٦٥.
(14) د/ عثمان أمين : المرجع السابق – صـ ١٩٩.

زينون - مؤسس المدرسة الرواقية - بالتحرر منه، لأنه يكبل نفس الإنسان ويعوق انطلاقها " [15]، وكانت المهمة الرئيسة للفيلسوف الرواقي أن يخبرنا عن حقيقة الموت، وإلى أين يذهب الإنسان بعد الموت؟ وهل الموت يكون للجسد أم للنفس أم لكلاهما معاً؟ ولقد نظرت الرواقية للموت باعتباره أمراً يدخل ضمن نظام الكون الحتمي الذي يرتبط بنظرية الاحتراق العامل الشامل، "وهو المبدأ الذي ذهبوا فيه إلى أن العالم سوف يمر بمراحل يتم فيها احتراق جميع الموجودات احتراقاً شاملاً يؤدي إلى فنائها"[16]، ولكن هذه ليست هي النهاية بل بداية جديدة لخلق جديد ودورة حياة أخرى تبدأ بعد هذا الاحتراق العام، ولقد أضافت الرواقية إلى نظرية هيراقليطس في الاحتراق العام، " نظرية القدر، وهي النظرية التي بمقتضاها بشكل الإله العالم ثم يعيده مرة أخرى إلى ذاته من خلال الاحتراق العام، حتى إن هناك سلسلة لا نهاية لها من البناءات للعالم والهدم والتدمير للعالم، وفضلاً عن ذلك فإن كل عالم جديد يشبه سابقه في كل جزئياته، وكل إنسان فرد مثلا سوف يظهر في كل عالم تالٍ وينجز الأعمال والأفعال نفسها التي كان قد أنجزها في وجوده السابق"[17]، فالموت بناء على ذلك هو نهاية حياة وبداية حياة أخرى بكافة تفاصيلها، ومن ثم فلا داعي في نظر الرواقية للخوف من الموت ولا للخوف من الحياة الأخروية لأنه لا توجد حياة أخروية، بل إن الحياة دائماً وأبداً ستكون حياة دنيوية، وإن وجد ثمة ثواب أو عقاب سيكون من خلال نظرية العود الأبدي ذاتها، فالإنسان الذي يعيش حياة تعيسة بسبب الشرور التي يفعلها سوف يعود إليها مرة أخرى كنوع من العقاب، أما الإنسان الذي يدرك تلك النظرية سوف يعمل على تحسين أخلاقه وظروف حياته حتى يضمن أن يعود إلى حياة مستقرة سعيدة يلتزم فيها بالفضائل التي دعت إليها الرواقية، والتي كان على رأسها التوافق مع الطبيعة.

يلاحظ هنا وجود اختلاف بين نظرية العود الأبدي بمعناها الرواقي ومعناها الفيثاغوري، حيث نجد أن " الفيثاغوريين يرون أن العود الأبدي يعني عودة النفس بعد الموت مرة أخرى لتدخل جسم جديد، فهذا العود ليس جديداً من جهة وجديد من جهة أخرى، حيث إنه يتكرر باستمرار، وهو جديد من جهة أن النفس لا تعود للشخص نفسه الذي كانت بداخل جسده في المرة السابقة، بل إنها تدخل أجساماً أخرى أما عند الرواقيين فإن العود الأبدي ليس جديداً فقط، حيث يعتقد خريسبوس أنه ليس من المحال إطلاقاً أن

(15) Edwyn Bavon : Stoic and Skeptics - The Clarendon Press-Oxford - 1913 - p 26.
(16) ديوجين اللائرثي : المصدر السابق – المجلد الثاني – صـ٢٠٩.
(17) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة - المجلد الأول (اليونان وروما) صـ ٥٢١.

نبعث بعد موتنا بحقب من الزمان على شكلنا الحالي، فسوف يبعث سقراط من جديد وأفلاطون من جديد وكل واحد منا مع أصدقائه ومواطنيه نفسهم ولن يتحقق هذا البعث مرة واحدة ' بل مرات عديدة، بل سيتحقق دائماً وأبداً" [18]، كما نلاحظ أن العود الأبدي بالمعني الرواقي قد يكون مدعاه للسعادة في حالة كون الإنسان يحيا حياة فاضلة، ويدعو للتعاسة والقلق، في حالة كون الإنسان يحيا حياة تعيسة غير أخلاقية، ولكن الرواقية ترى أن بإمكان الفرد أن يعمل على تحسين ظروف حياته حتى تصبح سعيدة فاضلة لا يخشي بناء عليها من نظرية العود الأبدي.

لقد كان سينكا - أحد فلاسفة الرواقية - يري أن الفلسفة تستطيع الرد على الأسئلة التي تشغل بال البشر حول العالم والإله والموت، "وهو يري أن الفلسفة تعلمنا كيف نموت، ويقول: لا أحد من هؤلاء - الفلاسفة - سيخبرك عن الموت لكنهم جميعاً سيعلمونك كيف تموت، ذلك لأن أعمارنا قصيرة، والمدي الممنوح لنا يتبدد بسرعة خاطفة، والبعض يستنفدون أعمارهم بمجرد ما يشرعون في أن يعيشوا حياتهم، وليس الجماهير التي لا تفكر وحدها التي تشكوا مما تعدونه شراً كاملاً، بل إن هذا الشعور نفسه قد أثار الشكاوي حتى بين الصفوة، ويري سينكا أنه شعور لا مبرر له، فالطول الحقيقي للحياة لا يمكن أن يقاس بالأعوام، فإن ما بدت الحياة قصيرة، فإن ذلك يرجع فحسب إلى أننا نجعلها كذلك، فليست مواهبنا سيئة لكننا نستخدمها على نحو يبددها " [19]، إن سينكا هنا ينظر إلى معني أبعد من فكرة إعطاء الأمل في العود الأبدي، فهو يري ضرورة أن نعمل على الاستفادة من الحياة استفادة كاملة ولا نضيع وقتها القصير في الحزن والتشاؤم.

لقد حاولت المدرسة الرواقية بطابعها المادي معالجة المخاوف الثلاثة الكبرى التي تتسبب في اضطراب الإنسان استناداً على الفكر الديني الذي اصطنعته لنفسها، والذي هو مزيج من الأفكار المستمدة من هيراقليطس وفيثاغورث، وانتهت إلى أن الإله والنفس من طبيعة مادية، وأرجعت العالم بأكمله إلى أصل مادي وهو النار المقدسة، وجعلت الإله الغامض في نظر الناس، إلهاً محباً قريباً خالقاً وقديراً ومنظمًا للكون، تعيش بحياة الإنسان ويسخر الكون كله من أجله، ونظرت إلى النفس والجسد على أنهما من طبيعة مادية، وتوصلت إلى أن الموت إنما هو بداية للحياة مرة أخرى، فتنتهي أسباب الخوف من الإله ومن الموت والحساب الأخروي، ولا يبقي أمامها سوي معالجة اندفاع النفس نحو الرغبات والشهوات الذي يبعدها عن الحياة الفاضلة التي لو تحققت يزول اضطراب النفس

(18)د/ جلال الدين السعيد : فلسفة الرواق - دراسة ومنتخبات - مركز النشر الجامعي - القاهرة - ١٩٩٩ –ص ٨٧.
(19)جاك شورون : الموت في الفكر الغربي – صـ ٧٨.

وقلقها وتتحقق حالة الأتراكسيا أو الاطمئنان والخلو من الانفعال، وهذا هو ما سيتم تناولـــه في العنصر الخاص بعلاج الرغبات والمطالب عند الرواقية.

ب- معالجة المخاوف التي تعوق الوصول للأتراكسيا عند الأبيقورية:

لقد حاول أبيقور تقديم علاج للمخاوف الثلاثة الكبرى (الإله - المـــوت - الحـــساب الأخروي) من منظور مادي اعتماداً على فكر ديني خاص به، واستناداً على مبـــدأ اللـــذة أيضاً الذي اشتهرت به المدرسة الأبيقورية - التي استعارته وأضافت إليه مـــن المدرســـة القورينائية ولقد كان أبيقور معاصراً للمدرسة الرواقية ومتفقاً معها في القـــول بالماديـــة، ورفض الميتافيزيقا بالمعني الأفلاطوني، لكنه لم يتأثر بالأفكار الدينية الرواقيـــة الخاصـــة بالإله، ونظرية الاحتراق العام، والعود الأبدي، بالرغم من أن النفس عنـــده كانـــت مـــن طبيعة مادية، لذلك جاء الفكر الديني الأبيقوري بكل ما يحتويه مـــن أفكـــار عـــن الإلهـــة والموت، والحساب مخالفاً تماماً للفكر الديني الرواقي، ولكنه ينتهي إلى نتيجة مماثلة وهي لتحقيق الأتراكسيا على الفرد أن يتجاوز مخاوفه من الإله، والمـــوت، والحـــساب لأنهـــا مخاوف لا داعي لها ولا أساس لها.

لقد توقفت السعادة عند أبيقور على شرطين أساسين هما " وقاية الجسم مـــن الألـــم وتخليص النفس من القلق والاضطراب، فإن تحقيق هذين الشرطين يبقي رهـــين القـــضاء نهائياً على كل مصادر الخوف، ولاسيما الخوف من الآلهة ومن الموت "[20]، فلقـــد أكـــد أبيقور أنه لا داعي للخوف من الآلهة، من خلال تقديم نظرية انتهت إلى نفي الصلة بـــين الآلهة والعالم، وإلى إثبات أنه لا حياة بعد الموت ولا ألم يشعر به الـــشخص الميـــت، لأن الموت يعني عدم وجود إحساس، وأن الموت هو موت للجسم والنفس معاَ، فلا حياة أخرى تتجدد بشكل مستمر كما قال الرواقيون، ولا حياة أخروية في عـــالم آخـــر كمـــا تـــذهب المعتقدات الدينية الموروثة في المجتمع.

أما فيما يخص الآلهة وصلتها بالعالم، فقد ذهب أبيقور إلـــى أن العـــالم لـــم يخلـــق بواسطة الآلهة، فقد كان يري أن " مبادئ الأجسام الـــبعض فيهـــا يكـــون عبـــارة عـــن مجموعات، والبعض الآخر يتكون من عناصر تتشكل فيهـــا هـــذه المجموعـــات، وهـــي عناصر غير قابلة للتجزئة، وقد وجدت بالقوة الخاصة بهم في خضم عالم ملئ بالهيئات - الذرات - مجتمعة وهو مليء تماماً بها، وعلى هذا النحو يـــصبح الكـــون لا نهائيـــاً ولا محدوداً، ولا يوجد له حدود، وإذا كان لا يوجد له حدود يجب أن يكون لا نهائياً، ولـــيس

(20) جلال الدين السعيد : أبيقور - الرسائل والحكم - الدار العربية للكتاب - القاهرة - ١٩٩١ ـــ صـ ٤٣.

إنهائه يتم من قبل أحد، فالكون لا نهائي ومكون من عدد من الذرات التي تشكل الهيئات باجتماعها، وهي تحل نفسها بنفسها، وهي في حالة مستمرة من الحركة، فهي تتحرك بسرعة متساوية منذ الأزل في فراغ لا يقدم أي مقاومة للذرات الأخف وزناً "(21)، كانت هذه هي النظرية الذرية التي استعارها أبيقور من ديمقريطس من أجل نفي خلق الإله للعالم، ومن أجل رفض مبدأ الحتمية الكونية الذي قالت به المدرسة الرواقية،' فالعالم في نظر أبيقور لا يحكمه قانون مسبق، ولا يخضع للقضاء والقدر، ولا ينظمه إله خالق ومدبر يعتني بالكون، بل هو يتكون من ذرات مادية متناهية في الصغر تجتمع وتفترق وفق نظرية المصادفة أو الاتفاق.

لقد كانت النظرية الذرية الأبيقورية تتصل بمسألتين دينيتين: مسألة الآلهة أو الإله من حيث تصورهم ووجودهم، ومسألة العناية الإلهية التي تنتفي بالقول بالمصادفة، وعلى الرغم من هذا نجد أن أبيقور لم ينكر وجود الآلهة، فلم يكن أبيقور ملحداً كما اتهمه البعض، لكنه أنكر خلقهم للعالم، " يقول أبيقور إننا عندما ننظر إلى الظواهر السماوية، مثل حركة ومسارات النجوم والكسوف، وكل المظاهر الأخرى يجب أن نفكر في أن كل هذا من إنتاج موجود معين قام بخلقها وتنظيمها من أجل المستقبل، وأن منظم العالم هو كائن خالد وكامل السعادة، يقلق ويهتم بنا، ولكن الهموم والمخاوف والشعور بالغضب، وهي مشاعر بعيدة وغير متوافقة مع مفهوم السعادة، بل هي على العكس تنسب إلى هذا الخالق حالات الضعف والخوف والعوز "(22)، " إن أبيقور يري أن الظواهر السماوية تولد في أنفسنا الهلع والرعب وتكبلها بقيود الفكر الخرافي التي لا خلاص منها طالما لم يتم رد هذه الظواهر إلى أسباب طبيعية محضة "(23)، فينبغي علينا التوقف عن التفسيرات الغيبية والأسطورية التي تنسب للآلهة مهمة خلق العالم والعناية به، لأن هذا الاعتقاد يولد في نفس الإنسان الخوف من تلك الآلهة ومن غضبها وقوتها.

لكد أكد أبيقور على أن الآلهة موجودة بالفعل، ذلك لأن " أول مقومات الحياة الفاضلة - في نظره - هي الاعتقاد بالآلهة المتصفة بالخلود والغبطة والسعادة، وإن المعرفة بوجوده مغروسة في النفس، إلا أنها تختلف في طبيعتها كل الاختلاف عما تتصوره العامة الذين يسندون إليها الكوارث التي تحل بالأشرار والنعم التي ينالها الأخيار، وهم براء من ذلك لأنهم لا يتدخلون في شئون البشر، بل ينعمون بالغبطة الأزلية

(21) Diogenes lartis: lives & opinions of Immiment Philosophers V1 - translated by Charles Duke young - Hg Bohn - London - pp 439 - 440.
(22) Ibid – p 452.
(23). د/ جلال الدين السعيد : المرجع السابق – صـ ٤٤

في عليائها "[24]، فالآلهة كانت سعيدة مطمئنة تعيش في عالم آخر غير عالمنا، ولا علاقة لها بالعالم لا من ناحية الخلق ولا من ناحية العناية.

لذلك نجد أن التأكيد على عدم خلق الآلهة للعالم يتضمن رفض فكرة العناية الإلهية، لأنها عند أبيقور تعد أحد أهم الأوهام الكبرى التي لا تتفق مع مقام الألوهية لأن ذلك يجعلنا ننسب إلى الآلهة وجود الشر في العالم، فوجود الشر ينقص من تمام مفهوم العناية الإلهية، فأين العناية في عالم حظ الشر فيه أكبر بكثير من حظ الخير كما يري البعض؟ "وفي مسرحية (التحكيم) التي تعبر عن موجة من إنكار عناية الآلهة بالبشر في المرحلة الهللينستية عندما ورد ذكر لفظ عناية إلهية على لسان أحد أبطالها فيقول (اونيزيم) (سمكريناس): "تأمل كم توجد من مدن في العالم، وكم من سكان في هذه المدن، تأمل العدد الذي لا يحصي من الأفراد فهل تعتقد أن الآلهة تعتني بشئون كل هؤلاء الناس؟ أنت تريد أن تشغل كاهلهم هموماً، وأن تجعل حياتهم لا تليق بحياة الآلهة، ويوجد في هذا الحوار بذور إحدي الأطروحات الأساسية عند أبيقور الذي لا ينكر وجود الآلهة، وإنما يعتقد أنها تعيش في عزلة عن عالمنا في تمام الغبطة والسعادة وغير عابئة بما يحدث للبشر"[25]، إن أبيقور يري أن القول بالعناية الإلهية من شأنه أن تفقد تلك الآلهة سعادتهم واطمئنانهم الذي تنعم به، وينسب لهم الشرور الموجودة في العالم، وهي براء منها تماماً.

إن كل هذا التركيز الأبيقوري على عدم تدخل الآلهة في شئون الناس ذلك من أجل علاج الخوف منها الذي يصل إلى حد الهلع والفزع، لذلك لجأ أبيقور لتفسير العالم بناء على نظرية طبيعية، " ويري البعض أن الفيزياء الأبيقورية - الموروثة قديماً عن الأيونيين وديمقريطس - لا تعكس رغم طريقتها الذرية نزعة العلم الحقيقية، بيد أنها تركز على عادة النقد الإيجابي، نقد جميع الخرافات المرعبة أو المخزية، وتفسح بذلك المجال لتأدية عبادة إلهية مطهرة ومنزهة عن كل غاية، كما أنها تتيح فرصة حفظ النفس دون إزعاج "[26]، ويري أبيقور أن الأتراكسيا أو الطمأنينة ممكنة فقط لمن لا يقلق بشأن الآخرين ولا ينقل للآخرين قلقه، وبالتالي فهي تحدث نتيجة لشعورهم بأن الآلهة لا تتدخل في الشئون الدنيوية من خلال عنايتها به، ولا تنشغل بأفعال البشر"[27]، لذلك خرجت نظرية أبيقور في الطبيعة مادية لا تستند على أبعاد دينية دون أن يعني ذلك إنكار وجود

---

(٢٤) د/ ماجد فخري : تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس- دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٩٩١ – صـ ١٦٨.

(25)د/ جلال الدين السعيد : المرجع السابق – صـ ٣٥.

(26)بيير دوكاسيه: الفلسفات الكبرى - ترجمة جورج يونس - منشورات عويدات - بيروت - باريس - ١٩٨٣ – صـ ٥٩.

(27) AE.taylor : Epichtus - DoDge publishing company - New York - 1910 - pp 77 -78

الآلهة، بل هي في مكانة رفيعة عند أبيقور، تلك المكانة أسمي من أن تكون هناك علاقة لها بالعالم. وينبغي التأكيد على أن دراسة أبيقور للاهوت والطبيعة كانت فقط من أجل خدمة نظريته الأخلاقية، " فالطبيعيات عند أبيقور لا فائدة منها إلا من حيث إنها تعطي الطمأنينة - الأتراكسيا - التي ينشدها المرء في سلوكه الأخلاقي، بأن تدفع عنه كل هذه الأوهام التي تمتلئ بها حياة الناس، فتفسد هذه الحياة سواء أكانت هذه الأوهام أوهاماً علمية، أو أوهاماً دينية، ومهتمها إذن مرتبة نحو العمل، فلم يبقي من الفلسفة بالمعني الحقيقي إلا الأخلاق، ومع أن أبيقور قد عني عناية كبيرة بالطبيعيات، وعني كذلك باللاهوت، إلا أن ذلك إنما كان من أجل تحصيل هذه الطمأنينة التي ينشدها الأبيقوري"[28]، فالعناية بالطبيعيات والإلهيات ليست هدفاً في حد ذاته عند أبيقور، بل إن العناية الكبرى هي محو أوهامها ومخاوفها من أجل تحقيق الأتراكسيا.

أما فيما يتعلق بالخوف من الموت، فكانت طريقة معالجة الأبيقورية تستند على القول بمادية النفس من جهة، وبالقول بالمصادفة من جهة أخرى، فالنفس مادية عند أبيقور وعند الرواقية أيضاً، لكنها لا تعوج بعد الموت كما عند الرواقيين، بل إن موقف أبيقور كان مختلفاً عن موقفهم تمام الاختلاف ' " لقد تبني أبيقور الموقف نفسه من الحفاظ على النفس الذي ظهر في كتابات ديمقريطس ' الذي ارتبط أيضاً بمفهوم الأتراكسيا عند ديمقريطس، الذي كان له موقف من الأتراكسيا يتشابه مع موقف أبيقور، حيث كان هناك تشابه كبير في تعريفها وتقديمها لمفتاح السعادة الذي هو الأتراكسيا أو الطمأنينة، التي عرفناها بأنها هدوء العقل والطبيعة البشرية، بل يمكن القول إنه لا يوجد شئ في فلسفة ديمقريطس فيما عدا الأتراكسيا، وهو المفهوم الذي ظهر أيضاً عند أصحاب الشك البيروني"[29]، فالقول بمادية النفس يساعد في إزالة الخوف من الموت. " حيث كان يري أبيقور أن لا شئ في الموت يدعو إلى الخوف، ومادام الموت فقداناً للإحساس والإدراك، فالخوف منه هو خوف من لا شئ ولا مبرر له "[30]، فالموت هو غياب الإحساس عند أبيقور، وبالتالي فلن يشعر الإنسان بالألم بعد الموت، لأنه بوجود الموت تنتهي الحياة، " وبهذا يقوم أبيقور بربط نظريته في الإدراك الحسي بالموت، حيث يعتبر أن ذرات النفس تنفصل بالموت، ولا يمكن أن يكون هناك إدراك حسي أبعد، فالموت هو انعدام للإدراك

---

(28) د/ عبد الرحمن بدوي : خريف الفكر اليوناني - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٣٤ – صـ ٧١ - ٧٢.
(29) Richard. w. Hibler : Happiness through Tranquillity - University of Americapress - USA - 1984 - pp 28 - 29.
(30)د/ جلال الدين السعيد : أبيقور - الرسائل والحكم – صـ ٢٤.

الحسي[31]، لذلك نجد أن أبيقور يري أنه إذا حضر الموت، لن يكون موجوداً حتى يشعر بأي ألم، فلا داعي للخوف من تلك الأوهام المتعلقة بالموت وما يعقبه من ثواب وعقاب، وعلى الحكيم أن يدرك خطورة الوقوع في براثن تلك المخاوف والخرافات الشعبية والدينية، لأنها تتسبب في اضطراب الإنسان وانزعاجه.

يري أبيقور أن " الفيلسوف وحده هو الذي يسعى للتشبه بالآلهة ومحاكاتها، سعياً إلى بلوغ الأتراكسيا المنشودة، ولعل مبدأ الأتراكسيا في ذاته هو الذي يثبت لا مبالاة الآلهة بالعالم وبمصير الإنسان وعدم خلقها لهذا ولا ذاك، وإذا كان الإنسان قادراً على الفوز بالأتراكسيا فالآلهة من باب أولي تنعم بهذه الأتراكسيا، وبما تغرزه من هدوء وسكينة، وكما أن الإنسان يتنازل عن المال والجاه ويبتعد عن مشاغل الحياة السياسية والاجتماعية من أجل العيش في الراحة والطمأنينة، فكذلك الآلهة لا تعبأ بما يدور في العالم، ولا تكدر صفو حياتها بمشاغل الآدميين ولا تتدخل في شئونهم"[32]، لذلك يسخر أبيقور من اعتقاد الناس في عناية الآلهة بالبشر، ويري " أنه لأمر مثير للسخرية أن تدعو الإله من أجل المساعدة، بالرغم من أن الإنسان قادر على توفيرها لنفسه"[33]، إن أبيقور يدعو الإنسان إلى الاكتفاء بنفسه وبذاته وأن يعتمد على نفسه لتحقيق سعادته واستقراره في حياته واللامبالاة بالمستقبل وبما يحدث بعد الموت، لأنه لا يوجد بعد الموت شئ، فلا حساب وآخره، فالإله لم يخلق البشر، ولم يعتني بهم حتى ينتظرهم بعد الموت لحسابهم، وبهذا حاول أبيقور تخليص الفرد من مخاوفه الوهمية، " حيث أوضح بلوتارخ في أطروحته (في الخرافة) التي تحدد بوضوح أن الخوف من تدخل الآلهة كان عاملاً مؤثراً في الحياة القديمة التي لم يكن من السهل تجاهلها، فقد أظهرت الذوات الفردية تعيش حياتها دائما في حالة من الفزع "[34]، ويتبقى أمام الأبيقورية بعد الانتهاء من علاج المخاوف مهمة علاج الرغبات والمطامع التي تعوق طريق الأتراكسيا.

ثانيا : معالجة الرغبات والمطامع التي تعوق الوصول إلى الأتراكسيا:

لقد سبقت الإشارة إلى أن المدرسة الرواقية والأبيقورية قد قامتا بتقسيم معوقات الوصول بالفرد إلى حالة الأتراكسيا إلى مخاوف ورغبات، وهذا يتطلب طرق علاجية مختلفة بناء على نوع المعوقات، وكان النوع الأول هو الخاص بالمخاوف الكبرى

(31) فردريك كوبلستون : المرجع السابق - المجلد الأول – صـ ٥٣٩ - ٥٤٠.
(32) د/ جلال الدين السعيد : المرجع السابق – صـ ٩٤.
(33) Richard. w. Hibler : op. cit. p65.
(34) د/ ناجي مصطفي أسعد : فلسفة الأخلاق عند الأبيقوريون أصولها ومبررات قيامها - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية البنات - جامعة عين شمس - ٢٠١٠ – صـ ١٢٣ - ١٢٤.

(الخوف من الآلهة - الموت - الحساب الأخروي) وهو نوع يسبب حالة من الاضطراب النفسي للفرد، والذي استلزمت طريقة معالجته دراسة الإلهيات والطبيعيات وكان الهدف منها إثبات عدم وجود سبب لتلك المخاوف، لكن تلك النتيجة وصلت إليها المدرسة الرواقية من خلال إثبات وجود الإله وخلقه وعنايته للإنسان والعالم، وبإثبات مادية النفس، وخضوعها للقضاء والقدر، ومبادئ الاحتراق العام، والعود الأبدي، وبإثبات عدم وجود حساب ولا حياة أخروية بعد الموت، أما عند الأبيقورية فكان الأمر على العكس، فقد أكدت الأبيقورية على وجود الآلهة ولكن أنكرت عليهم أي دور في خلق العالم أو العناية به، كما أكدت على مادية النفس من أجل إثبات أن الموت هو نهاية للجسم والنفس معاً دون عود أبدي ولا حياة أخروية، وكان نتيجة هذا عند كلتا المدرستين علاج المخاوف الكبرى حتى ينعم الإنسان بالأتراكسيا على المستوي النفسي.

والآن يأتي علاج الرغبات والمطامع التي تؤرق حياة الفرد، وتجعله يشعر بالألم النفسي والجسماني، ولقد اختلفت طريقة المدرسة الرواقية في تناول تلك الرغبات والمطامع تمام الاختلاف عن طريقة الأبيقورية، على الرغم من انتهائهما إلى نتيجة واحدة هي ضرورة اللامبالاة بهذه الرغبات والزهد فيها.

أ- علاج الرغبات والمطامع عند المدرسة الرواقية:

لقد كانت الرواقية تدعو إلى أن يعيش الإنسان على وفاق مع الطبيعة، أي بالعودة إلى الحياة البسيطة التي لا تسعى إلا لطلب كل ما هو ضروري في حياة الإنسان، وكان الإنسان في نظرها " موجوداً عاقلاً وبالتالي فبالرغم من أنه يتبع قوانين الطبيعة على أية حال - فهو يتمتع بميزة أنه يعرف هذه القوانين، وأن يصادق عليها عن وعي، فهو حر في تغيير مواقفه الداخلية - وذلك يتضمن بالطبع تعديلاً للموقف الحتمي، والنتيجة إذا شئنا الدقة هي أنه لا يوجد فعل خطأ في ذاته، لأن الحتمية لا تترك مجالاً لفعل الإرادة أو المسئولية الأخلاقية، وفي ذلك يقول كليانتس- أحد فلاسفة الرواقية - إن الوجود البشري يتبع بالضرورة المصير، ولو إن إرادتي تمردت على الشر فلا بد من أن أتابعها، وكذلك يقول سينكا في شعاره الشهير بأن القدر يقود الرغبة، ولكنه لا يلغيها، فلتضع نفسك بين يدي القدر " [35].فلو كان الإنسان يشعر بالاطمئنان تجاه الطبيعة وظواهرها بناء على إيمانه بوجود إله خالد مدبر ومنظم يعتني بالعالم، فإن القلق بشأن حريته في مقابل مبدأ القضاء والقدر والحتمية، وقدرته على اختيار أفعاله قد يؤرق ذلك الاطمئنان، ولقد حاولت

(35)فردريك كوبلستون : المرجع السابق - المجلد الأول – صـ ٥٢٩.

الرواقية معالجة ذلك التعارض من خلال القول بأن حرية الإرادة الإنسانية تنبع من قبـــول الإنسان لقوانين الحتمية بوعي ورضاء نفسي عن خطة الإله الشاملة للكون.

لقد وجدت الرواقية السعادة في الفضيلة، وقسمت الأخـــلاق علـــى النحـــو التـــالي: الدوافع، والخيرات والشرور، والانفعالات، والفضيلة، والغاية وغيرها، من الموضوعات، ورأت الرواقية أن الدافع الأول لدى الحيوانات ليس هو اللذة كما تدعي الأبيقورية، بل هو " الحفاظ على النفس، وذلك لأن الطبيعة منذ البدء قد جعلت هذا الدافع محبباً لديها، علـــى نحو ما يذكر خريسبوس الذي قال: إن أحب شئ لدي كافة صنوف الحيـــوان هـــو كيانـــه الخاص وبالتالي وعيه، وعليه أوضح الرواقيون خطأ رأي البعض الذي ينادي بأن اللـــذة هي الدافع الأول لدي الحيوان"[36]، إن غريزة الحفاظ على الكيان وحب البقاء هـــي الـــدافع الأول لدي الرواقية وليست اللذة من أجل اللذة كما سنجد عند الأبيقوريـــة، لـــذلك أعلـــت الرواقية من قيمة العقل في تيسير حياة الإنسان من أجل أن يتوافق مع الطبيعـــة،" فالعقـــل يمكننا من السيطرة على انفعالاتنا العنيفة، ويتوافق زينون - مؤسس المدرسة الرواقيـــة - مع أبيقور - مؤسس المدرسة الأبيقورية - في القول بأن السيطرة على الانفعـــالات هـــي الطريقة الوحيدة لتحقيق حياة طيبة، ولكنه يمضي قدماً - أي زينون - فيقـــول إن مثالـــه الأعلى ليس هو السلام العقلي فحسب، وإنما هو كذلك في جمود الحس أو التبلد التام، فهي ضرب من اللامبالاة Apathy أو الأوباثيا "[37]، فأصبح الهدف للفيلسوف الرواقي هـــو أن يتعامل مع كافة الرغبات الحسية بحالة من اللامبالاة بها، والتعالي عنها حتى ينعم بالسلام العقلي والنفسي الذي يمكنه من الوصول للأتراكسيا.

لقد ركزت الرواقية على " دراسة الانفعالات الإنسانية، بغرض السيطرة عليها، لأن في ذلك تكمن الحكمة والسعادة معاً، وقد حصرت الرواقية تلك الانفعالات الرئيـــسة فـــي أربعة: الحزن، والخوف، والرغبة واللذة، وهي كلها تدور في إطار تعـــريفهم للانفعـــالات بأنها حرة لا عقلانية ولا طبيعية في النفس، لذلك طالب الرواقيـــون بـــضرورة اســـتبعاد الانفعالات بما فيها اللذة من حياتنا استبعاداً تاماً، أو على الأقل جعلها من الأشياء المحايدة التي لا تثير أي رد فعل نحوها، فقد اعتبرت الرواقية أن الحياة في مجملهـــا حربـــاً ضـــد الانفعالات، لأنها مخالفة للطبيعة والعقل في حالة المبالغة فيها واضطراب النفس بهـــا"[38]، فالرواقية تسعي لاستبعاد الانفعالات، لأنها تتسبب في اضطراب الإنسان نفسيا وجـــسمانياً،

---

(36)ديوجين اللأئرثى: حياة مشاهير الفلاسفة - المجلد الثاني – صـ ١٧٦-١٧٧. وانظر ايضا .Diogenes Laertis : Op. Cit – V2 – p 209

(37) .جاك شورون : الموت في الفكر الغربي – صـ ٧٧

(38)د/ جيهان عادل على محمود : مفهوم السعادة في فلسفة سينكا – صـ ٤٩.

لذلك رفضت الرواقية الانفعالات العنيفة حتى لو كانت ممتعة، لأن ذلك يهدد هدوء النفس وسلامها، ويؤثر على حالة اللامبالاة الواجب التعامل بها تجاه تلك المتع والرغبات.

لقد سعت الرواقية إلي تأسيس الفضيلة بناء على مبدأ العودة إلى الطبيعة، ولقد كانت الفضيلة لديها " فعلاً أخلاقياً محايداً لا هو خير ولا هو شر، لكن هو على مستوى الحياد، فالرواقية تسمح بوجود بعض الأشياء المفضلة، بينما ترفض بعضها الآخر، في حين أن بعضها الثالث محايد بالمعني الضيق، وهذا امتياز للممارسة العملية ربما على حساب النظرية، فالأشياء تنقسم بناء على ذلك إلى ثلاثية: أولاً الأشياء التي هي علي وفاق مع الطبيعة والتي يمكن أن يعزي إليها قيمة، وثانياً الأشياء المضادة للطبيعة وبالتالي ليس لها قيمة، وثالثاً الأشياء التي لا تملك قيمة وعدم قيمة، وبهذه الطريقة وضعوت سلما للقيم، والمتعة هي نتيجة مصاحبة للنشاط، فلا توضع لها نهاية أبداً، ويتفق أهل الرواق مع هذا فيما عدا كليانتس الذي ذهب إلى أن المتعة ليست على وفاق الطبيعة "(39)، وهذا الحياء المصاحب للفعل الأخلاقي أو الفاضل يخرج بالفضيلة من نطاق الخير والشر التقليدي، ويجعل معيار الخير والشر معياراً أخلاقياً طبيعياً، كما أنه يعيد توزيع القيم والأفعال فيضع الخير والشر في نطاق الأفعال المحايدة، أو يجعل الانفعالات في نطاق الأفعال المضادة للطبيعة على نحو يجعلنا نبحث عن سبل التخلص من كل ما يبعدنا عن طريق الفضيلة والتوافق مع الطبيعة، فتصبح الحياة الفاضلة نوعاً من التوافق مع الطبيعة بل تصبح الحياة الفاضلة متوافقة مع القول بالتوافق مع الطبيعة.

فالرواقية تسعى لأن يتخلص الفرد من الانفعالات العنيفة من أجل الوصول لحالة الخلو من الانفعالات التي تسمي الأوباثيا، وترى الرواقية إن كان لا بد من وجود متعة فإنها لا تعترف باللذة وحدها، وترى ضرورة أن تنقسم اللذة إلى ثلاث حالات: الفرح والحذر، والارادة، أما الفرح chara فهو في رأيها نقيض اللذة، وهو عبارة عن ابتهاج عقلاني، وأما الحذر eulabeia فهو نقيض الخوف، وهو عبارة عن نوع من التحاشي العقلاني، فعلى الرغم من أن الشخص الحكيم لن يشعر أبداً بالخوف لكن عليه أن يكون حذراً، وهم يرون أن الإرادة boulesis هي نقيض الرغبة، وإنها عبارة عن اشتهاء عقلاني، وتحت هذه الانفعالات الأولية تندرج عواطف أخرى تابعة لها، فتحت الإرداة تندرج النية الحسنة، والأريحية، والعاطفة، والمحبة، وتحت الحذر يندرج التوقير، والحياء، والتواضع، وتحت الفرح يندرج الابتهاج، والمرح، والجدل، والانشراح، لكن

(39)فردريك كوبلستون : المرجع السابق - المجلد الأول (اليونان وروما) صـ ٥٣١.

فوق كل هذا تؤكد الرواقية على أن الشخص الحكيم هو الشخص المتحررمن الانفعـــالات، ذلك لأنه ليس معرضاً لذلك التردي في مثل هذا الضعف، لكن في الوقت نفـسه تــرى أن الخلو من الانفعالات - الأوباثيا - لا يعني الخلو التامي مــن بعــض الإنفعـــالات , لان الشخص الخالي تماماً من الانفعالات شخص فظ، وقاس، وعديم الرحمة " (40)، فاللامبالاة المقصودة هنا لا تعني القوة أو قلة الاحساس، بل هي أقرب إلى السكينة النفسية، والهــدوء وراحة البال التي هي كلها صور مختلفة للأتراكسيا المنشودة.

فالرواقية تسعي لأن تصبح حياة الفرد حياة سعيدة "، والحياة السعيدة في نظر سينكا هي راحة البال، وهدوء دائم، وتستطيع أن تمتلــك ذلــك، إذا امتلكــت عظمـــة الــروح والصمود، الذي يتعلق بشكل حازم بالحكم، والإنسان يؤكد تلك الحـــال بـــامتلاك الحقيقـــة واتباع النظام واللياقة، وإرادة حرة غير مؤذية، بل هي إرادة لطيفة لا تضغط على العقــل أبداً ولا تغادر العقل، وتتحكم في الوقت ذاته في الحب والإعجاب، فالــسعادة هـــي عقــل متحرر من الرغبات والمخاوف، وما أن يتخلص الفرد من كل هذا يحصل علـــى راحـــة البال، ومعها المتعة والسكينة والتناغم في الحياة، ويتأصل ذلك في الــنفس فيجمـــع بـــين نزاهة النفس ونقائها ويتضح ذلك من وصيف سينكا للسعادة بجعلها قريبة جدا من الكلمـــة الإغريقية أتراكسيا Ataraxia، وهي تعني التحرر من انشغال البال" (41)، وهنـــا نجـــد أن سينكا يوحد بين الأتراكسيا والأوباثيا إلى حد بعيد فهي حالة تجمع بـــين الراحـــة النفـــسية والهدوء العقلي والخلو من الانفعال وراحة البال.

فالعقل هو الحكم فيما بين الخير والشر عند الرواقية، فلا توجــد أشـــياء خيـــرة أو شريرة في حد ذاتها، بل إنها على الحياء - كما سبقت الاشـــارة - وإن طريقـــة تعامـــل الإنسان مع تلك الأشياء يتم من خلال العقل الذي يجعل خيراً أوشراً، وبعقله أيضاً يستطيع التفرقة بين ما هو خير في حد ذاته أو شر في ذاته لذلك كانت الحكمـــة - لـــديهم تعنـــي (معرفة الخير والشر - وماليس خيراً أو شراً. أو ما ينبغي أن يختار أو نجتنب أو لا نأبـــه به"(42)، لذلك فإنه ينبغي علينا اتباع العقل، وعدم الانجراف وراء العواطـــف والأهـــواء، وعلى هذا فالفضيلة هي " الحياة بمقتضي العقل، والأخلاقيات هي ببساطة الفعل العقلاني، وإن العقل الكوني هذا هو الذي يدبر حياتنا، وليس الهوى والإرادة الذاتية للفرد، والإنسان الحكيم يلحق - بوعي - حياته بحياة الكون كله، ويدرك نفسه كمجرد تـــرس فـــي الألـــة

(40) ديوجين اللأئرثى: حياة مشاهير الفلاسفة - المجلد الثاني – صـ ١٩٦-. وانظر ايضا
Diogenes Laertis : Op. Cit – V2 – p ٣١٠.
(41) د/ جيهان عادل على محمود : الرسالة السابقة – صـ ٤٨.
(42) د/ ماجد فخري : المرجع السابق – صـ ١٧٦ .

الكبرى"[43]، وبهذا فالدعوة الرواقية للعيش على وفاق مع الطبيعة لا تكتمل إلا بالعيش على وفاق العقل و الفضيلة التي يعي فيها الإنسان موقعه من العالم ويتوافق مع قوانينه، ويقبلها بارادة حرة مما يحقق له الخلاص من الاضطراب النفسي والبدني الكامن من وراء المخاوف والرغبات التي تعوق وصوله إلى الأتراكسيا، والصفاء النفسي، وراحة البال، لذلك كان الخير الأسمى عند الرواقية هو بلوغ السعادة eyduimaonia - happiness، وإذا ما تساءلنا عن معني السعادة لديهم، نجد أنها تعني الحياة على وفاق مع الطبيعة، والتي هي نفسها الحياة على وفاق الفضيلة، والفضيلة بناء على ذلك تصير هي الهدف الذي نسعى نحوه والذي ترشدنا الطبيعة إليه "[44]،هذا الإرشاد يتولي العقل مهمة توجيهه.

ب- معالجة الرغبات والمطامع عند الأبيقورية:

لقد كان مبدأ اللذة هو المبدأ الأساسي لدى المدرسة الأبيقورية، حيث اعتبرته أساس الأخلاق، وكما درست الأبيقورية الطبيعيات والإلهيات من أجل معالجة مخاوف الفرد من الآلهة، والموت، والحساب الأخروي، استخدمت الفلسفة الأخلاقية لمناقشة رغبات الفرد، وكانت أفكارهم تختلف عن أفكار الرواقية عن مبدأ اللذة، " فقد اعتبرت الرواقية أن اللذة نوع من الانفعالات الواجب التخلص منها من أجل الوصول لحالة الأوباثيا - الخلو من الانفعال - بينما نجد أن أبيقور يرى أن اللذة هي غاية الحياة، فكل موجود يتصارع من أجل اللذة، وتعتمد اللذة على السعادة، فاللذة هي بداية وغاية الحياة السعيدة، فلو تعرفنا على ذلك على أنه الخير الأول الفطري فينا، وأنه القاعدة التي تنطلق فيها في تحديد ما ينبغي اختياره وما ينبغي تجنبه، والمرجع الذي تلجأ إليه في تحديد ما ينبغي اختياره، وما ينبغي تجنبه، والمرجع الذي تلجأ إليه كلما اتخذنا من الإحساس معياراً للخير "[45]، و قد فسر بعض المؤرخين اللذة التي يقصدها أبيقور بانها اللذات بصفة عامة ما هو حاضر منها وما هو مستقبلي، لكن ينبغي هنا الإشارة إلى أمرين: "إن أبيقور لا يقصد لذات اللحظة الراهنة الفردية الحسية، وانما يقصد اللذة التي تدوم مدى الحياة، وثانياً إن اللذة تعتمد عند الأبيقوريين على غياب الألم أكثر من اعتمادها على الإشباع الإيجابي"[46] ، ومعني هذا أن اللذة التي تسعي الأبيقورية للحصول عليها ليست بمعناها العام الشامل، بل

---

(43)وولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية - ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد - دار الثقافة للنشر و التوزيع - القاهرة - ١٩٨٤ – صـ ٢٨٢.

(44) A.S Begomolov : history of ancient philosophy - Greece & Rome proress publichers - Moscow - 1985 - p 291.

(45) فردريك كوبلستون : المرجع السابق - المجلد الأول - (اليونان وروما) صـ ٥٤١ - ٥٤٢.

(46) المرجع نفسه - المجلد الأول (اليونان وروما) صـ ٥٤٢.

هي لذة محددة لها شروط، وأهم تلك الشروط هو الدوام والخلو من الألم، فهي تمنح الفرد نوعاً من الطمأنينة أو المتعه السلبية، فالسعادة الحقيقية عند أبيقور تكمن في وقاية الجسم من الألم، وتخليص النفس من القلق والاضطراب، وعلى هذا فإن تجنب الألم قد يكون أعلى درجة من درجات اللذة عند الأبيقورية.

إن الأبيقورية لا تتفق مع الرواقية في رفض اللذة، والتعامل معها بنوع من اللامبالاة، إن الأبيقورية ترى أن " اللامبالاة أو اللاحيوي كلمة مرفوضة يقولها الفيلسوف، ولكنها لا تخفف معاناة أي إنسان، فاللذة خير، وهي أمر بديهي يشعر به الإنسان كما يشعر بأن النار حارة، وأن الثلج أبيض، فاللذة هي بداية الحياة السعيدة وغايتها"[47]، ولا يمكن للإنسان استبعاد الملذات من حياته، ولكن عليه أن يقصد اللذات التي تتميز بانعدام الألم والاضطراب وبمجرد تحقيق ذلك، تهدأ كل عواصف النفس، وتشعر بالسعادة والطمأنينة والاكتفاء الذاتي. ولقد قسم أبيقور اللذات إلى " لذات حسية صرفة من ناحية، ولذات باطنة من ناحية أخرى، الأولى لذات إيجابية تتصف بأنها على حالة من اللذة الإيجابية، والأخرى لذات سلبية ليس لها معني آخر، إلا أنها خلو من الانفعال والتأثر، ولهذا كان من الأحرى أن تسمى اللذات الأولى باسم اللذة بمعناها الحقيقي، وتسمي الثانية باسم الطمأنينة السلبية أو الأتراكسيا، وإذا كانت الحياة منظوراً إليها في مجموعها تنتهي بنا قطعاً إلى القول بأن هذه اللذات الأخيرة - أي الأتراكسيا - أعلى مقاماً، لأنها أكثر دواماً من الأولي، فالمقام الأول هو للأخلاق السلبية والذي يليه هو الأخلاق الإيجابية"[48]، فهي طمأنينة سلبية من جهة أنها لا تسعي لتحصيل لذات أوضح مادية، بقدر ما تحاول الابتعاد عن كل ما هو مؤلم، ومن ثم تحقيق الأتراكسيا، والسعادة، وراحة البال.

فإذا كانت اللذة بهذا المعني هي لذة سلبية لا تسعى لإشباع الشهوات، فإن الأتراكسيا التي ستتحقق للفرد بهذا الشكل لن تكون مهددة بتقلب الأهواء والرغبات، إذ استطعنا تمييز الملذات الحقيقية مثل لذة الصداقة، ولذة الفلسفة، أي الحكمة، والعيش بحرية، إن غاية الإنسان هي اللذة، ولكن الخير الحقيقي يكمن في الصفاء العقلي والأخلاقي[49]، ولقد مجدت الأبيقورية من قيمة العقل والحياة البسيطة التي يحقق فيها الفرد حاجاته البسيطة التي تحافظ على بقائه وسلامته.

---

(47) جاك شورون : الموت في الفكر الغربي – صـ ٦٨.
(48) د/ عبد الرحمن بدوي : المرجع السابق – صـ ٨٧.
(49) بيير دوكاسيه : الفلسفات الكبرى – صـ ٦٠.

فالهدف من الحياة عند الأبيقورية ليس مجرد تحقيق اللــذة، بــل يمكــن القــول إن "الهدف من حياة الإنسان - وفقاً لأبيقور - هو تحقيق الهدوء العقلي - الأتراكسيا – وهــو الذي يخدم وحده لجعل حياة الإنسان كاملة، ولقد لاحظ بعض المعلقين هذه الــصلة بــين الطمأنينة - الأتراكسيا - والكمال tranquility & completeness لكن بعضهم يخطــئ في تحديد الفرق بين الوقت الذي يستغرقه للتمتع بلذة معينة، وهذه الأخيرة تــشكل تأكيــداً على معني مقولة أبيقور بــن الخير الأعظم هو الذي ينتج عنه لذة، وينتهي أيضاً بلذة فــي آن واحد وفي الوقت نفسه، مثل الصحة، والبصر، فالطمأنينة تكتمل في كل لحظــة ويــتم تجربتها من خلال الفرد"[50]، فالأتراكسيا هي حالة كاملة وعامــة مــن الراحــة النفــسية والذهنية والجسدية، فلا يمكن تصور حدوث الأتراكسيا في غياب أي نــوع مــن أنــواع الراحة على المستوى النفسي أو الجسماني، أما مسألة الوقت فهو غير مؤثر فــي شــعور الفرد باللذة.

لقد أدرك أبيقور أن العقبة التي تعترض سعادة الفرد وتعوق وصوله للأتراكسيا هي مجموعة المخاوف والرغبات التي يشعر بها الفرد، لذلك قام أبيقور بتطوير مبدأ اللذة الذي استعاره من المدرسة القورينائية، وتجاوز به المعني العام للذة إلى حد جعلها ذات معنــي عقلي ووجداني، " فقد أدرك أبيقور أن اللذة الحسية قصيرة العمر، وتفضي إلى الألم، لذلك نادى بالارتقاء عن اللذة المادية حتى يكون هناك قلق واضطراب، وهكذا أصبح الخير عند الأبيقورية يتمثل في الطمأنينة، والأتراكسيا وراحة البال، فالشعور باللامبالاة والعزلة هــي الأمور الواجب على الفرد اتباعها لتحقيق سعادته الروحية، وإن المهمة الأساســية للفــرد عند أبيقور هي تحرير النفس من القلق، والاضطراب، والمــشاعر العنيفــة، والرغبــات الجامحة ليصبح الخير الأسمى هو اللذة، ولكن الفوز بها أحياناً يكون بالصبر علــى الألــم وتفضيل الألم عليها، وينتهي أبيقور إلى وضع شروط للسعادة تتمثل في الاكتفــاء الــذاتي والقناعة والحصافة والاحتراس"[51] فالسعادة والطمأنينة، ومن ثم الأتراكسيا تتحقــق عنــد أبيقور وأتباعه بالقضاء على الخوف من الآلهة والموت والحساب الأخــروي، وبــرفض الحتمية الكونية عند الرواقي، والإيمان بقانون المصادفة، وبالتخفيف من الــسعي لطلــب الملذات، والرغبات، والأهواء.

---

(50) Jeffey. fish & kirk R sandrs : Epicurus & the Epicurean tradition- combridg university press - New York - 2011 - p 222.

(51)د/ جلال الدين السعيد : أبيقور والحكم – صـ ٢٤.

تعقيب:

نخلص من هذا إلى أن المدرستين الرواقية والأبيقورية قد سعيا لتقديم فلسفة شـاملة تعتمد على إقامة تصور ديني طبيعي أخلاقي من أجل تحقيق هدف الفرد للوصـول إلـى حالة الأتراكسيا والطمأنينة النفسية والجسدية، وكان للفكر الديني عند كل من المدرسـتين دور كبير في تناول المعوقات التي تقف في سبيل تحقيق الأتراكسيا.

لقد كان التصور الديني لوجود الإله مختلفاً عند كـل مـن المدرسـتين الرواقيـة والأبيقورية، فالرواقية تؤكد وجود الإله وتجعله عقل العالم وروحه التي لا تفارقه، والتـي خلقت ذلك العالم ونظمته، وتعتني به أجل الإنسان، ليصبح وجود الإله وعنايته بالعالم أحد أهم أسباب الشعور بالإطمئنان والراحة، وليس الخوف والفزع، وتكـون قـوانين العـالم الحتمية والاحتراق العام والعود الأبدي سبباً لعدم الخوف من الموت والحساب الأخـروي، لأنه لا يوجد موت بشكل عام، بل هو موت وحياة متواصلان، فلا مجـال إذن للحـساب والحياة الأخرى، وعلى مستوى الأفعال اليومية ترى الرواقية ضرورة اللامبالاة باللـذات والرغبات والتخلص منها حتى تكتمل الأتراكسيا بالأوباثيـا، وتعطـي شـعوراً مزدوجـاً ومضاعفاً بالراحة والطمأنينة النفسية.

أما الأبيقورية فهي على النقيض تماماً من الرواقية، فعلى الرغم من أنها لـم تنكـر وجود الإله أو الآلهة في العالم، لكنها تنفى تدخل الإله في العالم من ناحية الخلق والعناية، وترى أن بهذا النفي يتبدد خوف الإنسان من الإله، بل يصبح الإلـه و عالمـه النـوراني المفارق مثلا يحتذي به الفرد، ويحاول الوصول إلى الأتراكسيا التي تشعر بها الآلهة فـي عالمها، أما الموت فهو غياب الإحساس بالألم فلا داعي ولا مبرر للخوف منه، ويـصبح الحديث عن حساب وحياة أخروية ضرباً من العبث، ويصبح على الإنسان البحـث عـن سعادته ومتعته التي يغلب عليها الطابع السلبي، حيث تكمن السعادة واللذة و الطمأنينة فـي تجنب الألم، وبهذا يتحقق الشعور بالأتراكسيا على المستوى النفسي والجسدي للفرد.


PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

أ- **المترجمة إلى العربية :**

(اللائرثى)ديوجين : ١- حياة مشاهير الفلاسفة - المجلد الثاني - ترجمة د/ امام عبد الفتاح إمام - المركز القديم للترجمة - القاهرة - ٢٠٠٨.

ب- **المصادر المترجمة إلى اللغة الانجليزية :**

(Laertius) Diogenes:1- Lives and Opinions of Eminent Philosophers – V1 - Translated by Charles Duke yonge – H.G. Bohn – London – 1853.

ثانياً : المراجع العربية والمترجمة إليها

أ- **المراجع العربية :**

(الأهواني) د/ أحمد فؤاد : ١- المدارس الفلسفية - الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - ١٩٦٥.

(السعيد)د/ جلال الدين : ٢- فلسفة الرواق - دراسات ومنتخبات - مركز النشر الجامعي - القاهرة - ١٩٩٩.

~ ~ ~ ~ ~ : ٣- أبيقور الرسائل والحكم - الدار العربية للكتابة - القاهرة - ١٩٩١.

(أمين) د/ عثمان :٤- الفلسفة الرواقية - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ط ٣ - ١٩٧١.

(بدوي)د/ عبد الرحمن : ٥- خريف الفكر اليوناني - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٣٤.

(فخري) د/ ماجد : ٦- تاريخ الفلسفة اليونانية - من طاليس إلى أفلوطين وبرقليس - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ١٩٩١.

ب-المراجع المترجمة إلى العربية :

(دوكاسيه) بيير : ١- الفلسفات الكبرى - ترجمة جورج يونس - منشورات عويدات - ط٣ - بيروت - باريس – ١٩٨٣،

(ستيس)وولتر : ٢- تاريخ الفلسفة اليونانية - ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد - دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٨٤.

(شورون) جاك : ٣- الموت في الفكر الغربي - ترجمة د/ كامل يوسف حسين - عالم المعرفة - الكويت - ١٩٨٤.

(كوبلستون) فريدريك : ٤- تاريخ الفلسفة - المجلد الأول - (اليونان وروما) - ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام - المجلس الأعلى للثقافة - ط ١ - القاهرة - ٢٠٠٢.

١- **ثالثاً** : المراجع الأجنبية :

- (Bavon)Edwyn :1- Stoic and Skeptics - The Clarendon Press- Oxford - 1913 .
- (Begomolov) A.S:2- History of Ancient Philosophy - Greece & Rome progress publichers - Moscow – 1985.
- (Dijkstethuis) E.J. :3- Mechanization of the World Picture - Pythagoras & Newton Princeton university press- New Jersey - 1986.
- (Fish) Jeffrey. & Kirk. R. Sandrs : 4- Epicurus & the Epicure an tradition - Combridg University press - New York – 2011.
- (Hibler) Richard.w: 5- Happiness Through Tranquillity- University of Americapress - USA – 1984.
- (Taylor) A.E:6- Epicurus - Dodge publishing company - New York - 1910.

رابعاً : الرسائل العلمية :

(أسعد) ناجي مصطفي : ١- فلسفة الأخلاق عند الأبيقوريين - أصولها ومبررات قيامها - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية البنات - جامعة عين شمس - ٢٠١٠.

(محمود) جيهان عادل على : ٢- مفهوم السعادة في فلسفة سينكا - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب جامعة القاهرة - ٢٠١١.

خامساً : دوائر المعارف والمعاجم.

١- المعجم الفلسفى الصادر عن مجمع اللغة العربية – تصدير د/ ابراهيم مدكور – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة – ١٩٨٣- طمأنينة ataraxia – صـــ ١١٣.